

تفسير ابن كثير

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

ولهذا قال : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) . قال النسائي : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة ، قال : نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان اجتهادا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : " جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن " . فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : " قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان " . وقال البخاري : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي " يتأول القرآن . وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود

، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثُر في آخر أمره من قول : " سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه " . وقال : "
إن ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمتي ، وأمرني إذا رأيته أن أسبح بحمده
وأستغفره ، إنه كان توابا ، فقد رأيته : (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون
في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) ورواه مسلم من طريق داود
- وهو ابن أبي هند - به . وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا
عاصم ، عن الشعبي عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر
أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجيء ، إلا قال : " سبحان الله وبحمده " . فقلت :
يا رسول الله ، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا
تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ؟ قال : " إني أمرت بها " ، فقال : (إذا جاء نصر
الله والفتح) إلى آخر السورة . غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع
طرقه وألفاظه في جزء مفرد ، فيكتب ها هنا . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن
إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : لما نزلت على رسول الله

صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها - ور كع - أن يقول

: " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم " ثلاثا . تفرد به

أحمد . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق

به . والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها

فتح مكة يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي . فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله

أفواجا ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل

العرب إلا مظهر للإسلام ، والله الحمد والمنة . وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو

بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم

فهو نبي . الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا : السيرة ، فمن أراد فليراجعه هناك ،

والله الحمد والمنة . وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن

الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني جابر بن عبد الله قال : قدمت من سفر

فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل

جابر يبكي ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الناس دخلوا
في دين الله أفواجا ، وسيخرجون منه أفواجا " . [آخر تفسير سورة " إذا جاء نصر الله
والفتح " والله الحمد والمنة] .